ولأن في التاريخ بدايات المستقبل...

تُخصّصُ هذه الصفحة صبيحة كل يوم اثنين، لتحتضنَ محطات لامعات من تاريخ الحزب السوري القومي الاجتماعي، صنعها قوميون اجتماعيون في مراحل صعبة من مسار الحزب، فأضافوا عبرها إلى تراث حزبهم وتاريخه التماعات نضالية هي خطوات راسخات على طريق النصر العظيم.

وحتى يبقى المستقبل في دائرة رؤيتنا، يجب أن لا يسقط من تاريخنا تفصيل واحد، ذلك أننا كأمّة، استمرار مادي روحي راح يتدفق منذ ما قبل التاريخ الجلي، وبالتالي فإن إبراز محطات الحزب النضالية، هو في الوقت عينه تأكيد وحدة الوجود القومي منذ انبثاقه وإلى أن تنطفئ الشمس.

كتابة تاريخنا مهمة بحجم الأمة.

ثلاثة أهداف وراء تسييس تفجير الطائرة الروسية

■ حميدي العبدالله

سواء كان سقوط الطائرة الروسية عملاً إرهابياً نفذه تنظيم «داعش»، كما ادّعى في بيانات صادرة عنه، أو أنه نتيجة خلل في الطائرة، إلا أنّ عملية توظيف هذه الكارثة الإنسانية قد تمّ على أكمل وجه.

وثمة ثلاثة أهداف وراء عملية التوظيف والتسييس لهذه الكارثة:

- الهدف الأول، محاولة الإيحاء بأنّ هذه العملية هي عقاب لروسيا على تدخلها في سورية، وهذا ما ركزت عليه الصحف الغربية، ولا سيما الصحف البريطانية والفرنسية، وإذا كان صحيحاً ما تدّعيه وسائل الإعلام الغربية، بأنّ تدخل روسيا في سورية هو الذي دفع «داعش» إلى تنفيذ هذه العملية الإجرامية، فمن البديهي والطبيعي طرح سؤال لماذا قامت «داعش» بالانتقام من رعايا روسيا ردّاً على تدخلها في سورية، وعمر هذا التدخل لا يتجاوز شهراً واحداً، في حين لاذت بالصمت ولم تستهدف رعايا الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة التي تقود تحالفاً دولياً ضدّ «داعش» في سورية والعراق، ونفذت طائراتها سلسلة من الضربات ضدّ مواقعه في البلدين؟ هذا التساؤل يؤكد واحداً من أمرين، إما أنّ «داعش» جزء لا يتجزأ من التحالف الغربي والادّعاء بمحاربة الغرب له مجرد مسرحية، وهذا ما يفسّر عدم جدية الضربات التي تستهدف التنظيم، ولهذا لم يقم «داعش» بضرب أيّ هدف غربي، وهاجم رعايا روسيا عبر إسقاط الطائرة الروسية، أو أنّ العملية التي نفذت هي من تدبير المخابرات الغربية لتحقيق هذه الغاية، وغايات أخرى.

- الهدف الثاني، ضرب العلاقات المصرية – الروسية الآخذة في التكون، لأنّ الغرب وحلفاءه في المنطقة لن يسمحوا لمصر، بما تمثله من موقع جيوسياسي، وبحجمها المعروف، الانتقال إلى المعسكر الآخر، أو اعتماد سياسة مستقلة، فالذين استهدفوا الطائرة الروسية كانوا يتوقعون أن تحمّل روسيا مصر مسؤولية ما جرى لرعاياها ونقص إجراءات الحماية، وبالتالي يقود ذلك إلى توتر يجهض أيّ تحسّن في العلاقات المصرية – الروسية التي لا تزال على كلّ حال علاقات محدودة وهشة بسبب مستوى الخرق الغربي لمصر.

- الهدف الثالث، توجيه ضربة للاقتصاد المصري باعتبار أنّ السياحة المصرية تشكل أحد المصادر الهامة للدخل في مصر، لا سيما أنّ عدد سياح روسيا البالغ عددهم لحظة سقوط الطائرة حوالي 80 ألفاً يعكس حجم ومستوى تأثير القطاع السياحي في الاقتصاد المصري. وبديهي ضرب السياحة يجعل مصر أكثر ارتهاناً للمعونات الخارجية، سواء من الغرب أو من بعض الحكومات الخليجية، ومن شأن ذلك أن يكبّل صانعي القرار في مصر ويحول دون ذهابهم بعيداً خارج الفلك الأميركي.

التفجير الأضخم في الضاحية وزجّ فلسطيني مدروس

الانفجار الذي هزّ الضاحية الجنوبية لبيروت هو الأضخم منذ أكثر من سنة ونصف السنة، حيث سادت حالة من الاستقرار التي عاشتها البلاد. التفجير الإرهابي أسلوبه جديد، حيث استطاع الانتحاريون الدخول من بين الحواجز الأمنية، محدثين حالة من الذهول المرفق مع منسوب عال من الوعي الذي أظهره اللبنانيون في ما بينهم.

ولا يُخفى أن الهدف من هذه الجريمة الوحشية إحداث شرخ بين اللبنانيين وتسعير الفتنة وتقليب الرأي العام ضدّ حزب الله، وخصوصاً ضدّ مشاركته في القتال في سورية. والحزب هو اليوم، أمام تحدّ من نوع جديد تتكشف فيه اليد «الإسرائيلية» التي تحاول زجّ الفلسطينيّين في الملف، خصوصاً بعدما تحدثت المعلومات عن انّ هناك فلسطينيّين اثنين من أصل ثلاثة انتحاريين استهدفوا برج البراجنة، فاستنفرت القوى والفصائل الفلسطينية في لبنان والخارج، حيث اتصل الرئيس الفلسطيني محمود عباس فوراً برئيس مجلس النواب نبيه بري مستنكرا ومعزياً ومعبّراً عن وقوف الشعب الفلسطيني وقيادته مع وحدة وسلامة لبنان وشعبه، مشدّداً على استنكاره لأية محاولات لخلق الفتنة بين الفلسطينيين واللبنانيين.

«حركة حماس» في لبنان من جهتها عبّرت عن استنكارها لهذا الزجّ الخطير، لافتة إلى أنّ البحث عن اسمي المنفذيْن اللذين جرى الإعلان عنهما بيّن أنّ الشخصين ليسا فلسطينيّين من داخل لبنان، ولا حتى من النازحين إليه من مخيمات سورية...

هذه الأجواء التي انعكست على الأرض تعاوناً وانسجاماً ومزيداً من الوحدة تعرف «إسرائيل» انه ضرورة تودّ استثمارها خصوصاً في وجه الانتصارات التي حققها حزب الله برفقة الجيش السوري، لأنه على ما يبدو فإنّ الميدان السوري دخل مرحلة الحسم الكبير التي ضغطت «اسرائيل» وأعوانها بعدما تمّ تحرير مطار كويرس العسكري شرق حلب، وهو أول هزيمة لـ«داعش»، ومن ثم تحرير منطقة الحاضر التي تُعتبر مفصلاً مهمّاً في سير العمليات في منطقة ريف حلب الجنوبي، كونها المعقل الرئيس لـ«النصرة» في تلك المنطقة، ما يعكس قيمة الإنجازات ويؤشر إلى الانهيارات في المناطق المجاورة في الحالتين في الأيام المقبلة.

وكل هذا تحت العين «الاسرائيلية» التي تعرف انّه تكريس لنفوذ حزب الله وانتصاراته وتتويجه بطلاً مجدداً في أعين جمهور واسع في لبنان والعالم العربي، وهذا ما لا تريد له «إسرائيل» أنْ يستمرّ.

ضرب القاعدة الشعبية لحزب الله هو ضرورة في هذه المرحلة وإرباك حزب الله من الداخل قد يكون عبر فتح معارك مباشرة بينه وبين القوى الفلسطينية او حتى الشعبية، نتيجة الانزعاج من الوجود الفلسطيني، خصوصاً المقصود بالملف لأنّ اختيار الانتحاريّين من الفلسطينيّين لتنفيذ العملية هو اختيار مقصود من قبل «داعش» ومن ورائها «إسرائيل» لتصيب هذا الجمهور الذي يهتف «لبيك يا فلسطين» بالإحباط والغضب والانتفاض على هذا كله، طالباً من قيادة المقاومة عدم الاهتمام بالملف الفلسطيني الذي أصبح عبئاً عليه.

«إسرائيل» حاضرة دوماً في أيّ تفجير إرهابي ليس لأنّ الاتهام يتمحور عليها دائماً كعدو وحيد، بل لأنّ «داعش» والعناصر التكفيرية هي عناصر تنفيذية وليست مقرّرة وسط الحدّة والخطورة التي تمثلها ملفات المنطقة، والتي تعرف «اسرائيل» انها تخضع لمحرّك سياسي بامتياز لأنّ توقيت العملية الكبرى في الضاحية يتقاطع مع مفاوضات فيينا ومع تقدّم الجيش السوري مقابل إرباك «اسرائيلي» كبير عبّر عنه بنيامين نتنياهو في زيارته الأخيرة الى واشنطن، والأخيرة وضعت ملف حزب الله في الزيارة على الطاولة داعية على لسان أوباما الى ضرورة التصدّي لأنشطته.

تعرف «اسرائيل» انّ التصدّي لهذه الانشطة برسالة دماء لن ينفع او يثني حزب الله عن الاستمرار في بث مشاعر الانتصار التي لن تخفتها تفجيرات تعوّد جمهوره على مواجهتها بيقين القضية الحقة التي يناضل لأجلها، وعلى هذا الاساس فإنّ نتيجة التفجير سيحصد اللبنانيون مزيداً من الالتفاف وراء مؤسساتهم الأمنية والرسمية لينعكس تلقائياً حماية وتحصيناً ضدّ أيّ محاولة لزجّ الفلسطينيين واستدراجهم الى فتنة مع اللبنانيين كواحدة من أهداف العملية.

«توب نيوز»

مزيد من القتل لن يغيّر

- يتباهى تنظيم «داعش» منذ ولادته بجبروت مقاتليه وقد فضحته المعارك بالجبن الذي يتسم به عساكره عندما يتعرّضون للهجوم.
- أشدّاء في الهجمات لأنهم يأتون آلافاً مدجّجين بالسلاح لمهاجمة مواقع يدافع عنها العشرات، أما في الدفاع فيهربون ولا يملكون شجاعة الثبات.
- صورة بأسهم التي صنعتها الانتصارات الهوليودية سواء في الهجمات المجوقلة أو في عمليات الإعدام المصوّرة، تسقط مع سقوط مواقع يسيطرون عليها بمجرد وصول المهاجمين إليها.
- ردودهم منذ الدخول الروسي في الحرب هي قتل المدنيين من تفجير طائرة مدنية وقصف اللاذقية وصولاً إلى تفجيرات الضاحية.
- لا بوتين ولا الأسد ولا نصرالله سيتراجعون.
- لا شعب روسيا ولا سورية ولا الضاحية سيبدّلون خياراتهم.
- الهجوم متواصل وبعد كويرس الحاضر وبعدهما نبل والزهراء وصولاً إلى يوم حلب المشهود.
- ما داموا يهربون من الحرب فستعود حلب قريباً إلى الحرية ومثلها تدمر وهم يفرّون.
- الرقة لن تكون ملاذهم ففيها ستكون المقبرة.
- هذا وعد السيد لهم فلينتظروا إنْ كانوا رجالاً وليدافعوا عن خلافتهم دفاع الرجال.
- انتهت هوليودهم والزمان للرجال والضاحية صاحية.

التعليق السياسي

صفّ الضباط... بداية العمل العسكريّ ونواة الجيش القوميّ

■ لبيب ناصيف

نعلم أن سعاده اهتم بعد عودته إلى الوطن في 2 آذار 1947 بتهيئة الحزب لمواجهة الاستيطان اليهودي في الجنوب السوري (فلسطين) عبر الكثير من الإجراءات، منها إنشاء صف الضباط، وإخضاع القوميين الاجتماعيين لدورات تدريبية، علماً أن موضوع تدريب القوميين الاجتماعيين بدأ مع أولى سنوات التأسيس. من الرفقاء المدرّبين الأوائل نذكر: جمال باشا الغزي، منير الملاذي، وأمير شلاش، الذين، وقد كنا كتبنا عنهم بما توفر لدينا، نأمل أن نتمكن من جمع المعلومات لنبذة غنية عن كل منهم[1].

***

عن «صف الضباط» يورد الأمين ابراهيم يموت في الصفحتين 171 و172 من مؤلفه «الحصاد المرّ» وتحت عنوان «الحزب يخرّج ضباطاً»، المعلومات التالية:

«مع قرار تقسيم فلسطين كانت دعوة سعاده القوميين الاجتماعيين إلى الالتحاق بصفوفهم النظامية والتحضّر لمجابهة الخطر الآتي من الجنوب، وكان يعني حرفياً ما يقول. فقد تركز الاهتمام في الحزب ابتداءً من عام 1948 على التدريب العسكري والانتظام في صفوف تدريبية لمجموع القوميين. أمّا على مستوى القيادة فقد أنشأ سعاده دورات تدريبية لتخريج دفعات من صفوف الضباط من بين المسؤولين الحزبيين المؤهلين، عهد بها إلى بعض القادة العسكريين اللبنانيين منهم العقيد زهران يمين والنقيب جوزف نبهان، وكنت أحد الذين وقع عليهم الاختيار لتأهيلهم عسكرياً.

من المسؤولين الحزبيين الذين أخضعوا للتدريب: جورج عبد المسيح، عبد الله محسن، جبران جريج، اسكندر شاوي، إنعام رعد، فارس معلولي، إدغار عبود، خالد جنبلاط، خليل أبو عجرم، فكتور أسعد، عبدالقادر فاخوري، فكتور حداد، إميل رعد، فؤاد شاوي وجورج عتيّق».

الدروس العسكرية لصفوف الضباط شملت التمارين الرياضية الشاقة وأساليب حرب الشوارع والجبال، مع كيفية استعمال الأسلحة اللازمة لذلك، والاطلاع على كيفية عمل المصفحات والدبابات والمدافع. كانت الدروس مكثّفة وتخرّج بنتيجتها عشرات الضباط بدرجات متفاوتة».

***

من جهته يورد الأمين إنعام رعد في الصفحتين 49–50 من مذكراته «الكلمات الأخيرة» وتحت عنوان «مقدمات الثورة القومية الاجتماعية الأولى» ما يلي:

« كانت المرحلة تشير إلى أن الحزب بات حديث الأمة، فسعاده في اللاذقية، في حلب، في دمشق يحاضر ويخطب. وفي بيروت هناك الندوة الثقافية ومحاضراته العشر.

وسعاده مرجع، يأتيه الطلاب والشباب من كل أنحاء الأمة. والحزب يخترق المناطق والأحياء، في بيروت وفي غيرها. في الجمّيزة يقام مكتب لجريدة «الجيل الجديد»، وفي البسطة تكثر المديريات وتنمو، ورأس بيروت قفير نحل للقوميين الاجتماعيين.

وفي الجامعات حركة الحزب قوية، ومديرياته منتشرة... ففي «اليسوعية» تعرّفت إلى إدمون كنعان[2]، وتعرفت إلى غيره في جامعات بيروت، «الأميركية» و«الفرنسية» وفي ثانويات المدينة.

«كان الحزب في تلك المرحلة، يواجه النكبة، نكبة فلسطين، وجاء طلب القوميين الاجتماعيين للسلاح. جاء الرفيق عبداللطيف كنفاني[3] مزوداً بطلب اللجنة العربية العليا إلى القوميين الاجتماعيين ليدافعوا عن القدس، لكن لا سلاح للقوميين الاجتماعيين[4]، هكذا قالت الحكومة اللبنانية، لأنها كانت تحسب حسابات الداخل لا حسابات المصير القومي. وقد كتب الزعيم حول هذا الموضوع[5].

«مع ذلك تطوّع القوميون وذهبوا إلى فلسطين، أديب الشيشكلي، غسان جديد، الذي كانت له ملاحم في محاصرة المستوطنات والمستعمرات الصهيونية. ومصطفى سليمان قاتل على رأس «فرقة الزوبعة»، وعديدون غيرهم. وقد سُجّلت أعمال القوميين الاجتماعيين في حيفا وغيرها في النشرة الرسمية. فبعد معركة الاستقلال في لبنان، جاءت معركة الصراع في فلسطين، التي بدأها الحزب بالشهيد حسين البنّا وبالقائد الشهيد سعيد العاص.

كان سعاده يواجه الأنظمة ويحمّلها المسؤولية، وكان يعتبر أن دور الحزب آت بعد أن تنهار الأنظمة المسؤولة عن النكبة».

«كان خطابه قاسياً، مُديناً. كانت فيه نبرة الثورة، نبرة الادعاء القومي العام، يواجه الحكومات والأنظمة الفاسدة. كان نذير الثورة، نذير التغيير. هكذا كانت سنة 1949.

ونمّونا في المسؤولية، كنت على وشك التخرّج، وكنا قد انتخبنا إلى مجلس الطلبة في الجامعة، الذي كان يشهد تنافساً بين القوميين العرب والسوريين القوميين الاجتماعيين.

في مثل هذا المناخ والجو، كن نلمح بوادر العاصفة من جديد. وكان جورج عطية[6]، الكثير «الحشرية»، و«الفضول»، اذا صح التعبير، والملازم لمكتب الزعيم، يلحظ أن الزعيم يذهب مع منفذ عام دمشق عصام المحايري إلى الشام، ويعود مع صبحي فرحات، ناظر المالية، وكأن هناك ما يحصل، أو ما يُهيّأ.

في تلك المرحلة دُعينا إلى صف الضباط. كان سعاده يعدّ صفاً من الضباط القوميين الاجتماعيين، وكان العقيد زهران يمّين يعاونه النقيب جوزيف نبهان على رأس هذا الصف، كما عرفنا بعد السجن. لم نكن نعرف أنه هو على رأس

الرفيق منير الملاذي

الصف، كان أستاذنا يأتي بالثياب المدنية، ثم عرفنا بعد الاعتقال وبعد الإفراج أنه عقيد في الجيش.

كان هناك من هو أعلى مني تدرّجاً في هذا الصف، عدد من المسؤولين المركزيين، الصدر عساف كرم، كان الأعلى. ويأتي بعد ذلك، جورج عبد المسيح، عبد الله محسن، ابراهيم يموت، وغيرهم.

***

بدوره يورد الأمين شوقي خير الله في الصفحة 161 من مؤلفه «قصة الحزب» أنه «بعد عودة الزعيم بوقت قصير أنشىء معهد التدريب العالي. وكان أول المتدربين جورج عبدالمسيح، إميل رعد، كامل بو كامل، فؤاد الشاوي، فؤاد النجار، إدغار عبود، فكتور أسعد، جورج عتّيق، خالد جنبلاط، خليل بو عجرم، محيي الدين كريدية، إبراهيم يموت، عادل شقير وسواهم. وتلتها دورة ثانية كان فيها أديب قدّورة، فكتور كلارجي، رشيد الأشقر، فارس معلولي وسواهم. ولقد نسيت أسماء أخرى لا ريب. فمن كان متأكداً منهم فعسى أن نضيفهم إلى حقّ النهضة وفي موقعهم من ذاكرة المؤسّسة وقصة الحزب[7]».

***

في الجزء الثالث من مجلده «من الجعبة» يتحدث الأمين جبران جريج عن «أول تدريب» فيقول:

«اجتمعنا، نحن المركزين، في الفسحة الرحبة من دارة نعمة ثابت في الغبيري. جمعنا الزعيم في عصر أحد الأيام، جريدة واحدة. كان يشرف عليها جمال باشا الغزي يعاونه منير الملاذي والزعيم جالس على كرسي يراقب المدرب والمدربين.

جئت في أول الجريدة بالنسبة لطولي. اعترتني رعشة ما عرفت لها سبباً مع أنني كنت مارستُ، في صغري، الكشفية وتمارين أولية من هذا النوع لم تكن غريبة عني. هل كانت هذه الرعشة لجدية هذه التمارين وما ينتظر منها الزعيم لمستقبل الأيام؟

«ما طال وقت هذا التدريب الأولي في هذا المكان الأول في اليوم الأول. لكنها بدأت تطول كلما زادت أيام تمريناتنا وما عادت تجري في فسحة الدارة المذكورة بل انتقلنا إلى أحراج الصنوبر المحيطة بالغبيري، فكنا نسير ونركض ونقف وندور إلى اليمين وإلى اليسار وإلى الوراء، إلخ... إلى أن تقرر في أحد الأيام أن نمنح استراحة بعد هذا الإجهاد الطويل.

كنا، كلنا ناجحين، تسيّرنا روحية واحدة وإرادة واحدة وهدف واحد. لا شك، أننا كمركزيين كان من واجبنا أن نكون ملمين بهذه الأصول من جهة وأن نكون قدوة من جهة أخرى.

علّق الزعيم عند انتهاء هذه الدورة التدريبية البسيطة بقوله «هذه نواة الجيش القومي».

***

وعن موضوع التدريب العسكري يوضح الأمين جريج في الصفحتين 310–311 من الجزء الثالث المشار إليه آنفاً ما يلي:

«ألّف الزعيم لجنة لوضع أسس التدريب العسكري، تألفت من عسكريين: جمال باشا الغزي (الباشوية من السعودية)، صلاح شيشكلي ومنير الملاذي. كنت المدني الوحيد فيها. الغاية من وجودي هو المساهمة في الترجمة من الفرنسية أو الإنكليزية إلى العربية. لست أدري لماذا اختارني.

«كانت هذه اللجنة تعقد جلساتها في منزل بطرس المعلوف[8]. اعتمد القاعدة الفرنسية بعد درس طويل وأبحاث مستفيضة واقتصرت توجيهاتها على وضع كرّاس يضم الأسس للتدريب على النظام المرصوص ووضعت الكلمات العربية المناسبة من مثل «الرامي، الملقم، العين، أو الإيعاز» استقم واختصارها «قم» واسترح واختصارها «رح» وإلى الأمام هي بدل «سر»، وتحاذَ، توازَ وانتشر بدل «تفرق». وللمرة الأولى وضعت قاعدة «تحية الزعيم» خذ، يحي فتقدم التحية مع الردّ بكلمة «سعاده» وتقدم التحية بوضع اليد على الصدر، لا برفعها مستقيمة، والإبهام على القلب.

« وطبع هذا الكرّاس بمنتهى السرية وعيّن الزعيم منير الملاذي مدرباً عاماً للحزب يتجوّل في المناطق ويطبق هذه التعليمات على الأعضاء الصالحين. قال الزعيم في إحدى هذه المناسبات «بدأ الحزب يصبح قوة عملية».

«تردّد الزعيم كثيراً بقبول هذا التخصيص بالتحية فاقنعه جمال باشا بضرورتها لأسباب عسكرية لا تمت بأية صلة للمفاهيم البسيكولوجية أو للتفسيرات الاجتماعية النفسية المتعلقة بالأنانية والفردية أو بالصفة الدكتاتورية فهو القائد الأعلى للقوات القومية وكفى».

ساهم الزعيم بحل مشكلة تسمية آمر نصف «الجريدة» فسماه «القومي الممتاز» ثم أعطى التسميات الآتية للرتب العليا من أمثال «الساعد، العضد»، على اعتبار الهيكل العسكري شبيهاً بهيكل الإنسان، فيحسن أن نستعير منه بعض الأسماء.

كانت هذه الأوليات في التدريب العسكري وهي تمارَس من دون سلاح. على أثر الانتهاء من وضعها والشروع في طبعها قرر الزعيم المباشرة في تطبيقها على المركزيين أولاً (مراجعة مقطع «أول تدريب» آنفاً).

هوامش

(1) للاطلاع على ما كنا أوردناه عن كل منهم الدخول إلى أرشيف تاريخ الحزب على الموقع التالي www.ssnp.info.

(2) ادمون كنعان: من «كفرشيماط. منح رتبة الأمانة وتولى مسؤوليات قيادية في الحزب، منها عمدة المالية. اضطر للمغادرة إلى عمان لمشاركته في الثورة الانقلابية، فالى نيجيريا حيث أسس اعمالا ناجحة. انتقل إلى باريس حيث ما زال مقيماً. بات متقدماً في العمر.

(3) عبد اللطيف كنفاني: من مدينة «حيفا». أصدر عدة مؤلفات أشهرها «15 شارع عكا» وهو يتضمن سيرة ومسيرة ومعلومات جيدة عن الحزب في فلسطين. مقيم حالياً في بيروت.

(4) يورد الأمين انعام رعد في الهوامش البند 1 في الصفحة 49 التالي:

«أكد منير ابو فاضل (نائب سابق راحل، والد النائب السابق مروان ابو فاضل) في حديث أدلى به إلى مجلة «صباح الخير» نشرته في عددها رقم 446 تاريخ 2 ايلول 1984، رفض الدول العربية اعطاء القوميين الاجتماعيين سلاحاً، وكان أبو فاضل يشغل في العام 1948 منصب قائد قوات «الجهاد المقدس» في القدس. وقال ل «صباح الخير» انه اجتمع مع انطون سعاده في بيروت حيث ابلغه سعاده بأنه على استعداد لإرسال 2400 مقاتل للمشاركة في حرب فلسطين لكن يلزمه السلاح. ويقول ابو فاضل انه اتصل بأكثر الدول العربية لكن التجاوب لم يكن حسب الطلب. ويذكر ابو فاضل انه كان بين المقاتلين في فلسطين العدد الكبير من القوميين الاجتماعيين وعلى رأسهم الدكتور يوسف الصايغ.

(5) يورد الأمين انعام رعد في الهامش 2 في الصفحة 49 من «الكلمات الأخيرة» لتالي: مراجعة مقال «المساعدات القومية الاجتماعية في معارك فلسطين» المنشور في الجزء 15 من الآثار الكاملة. ص 186، نقلاً عن النشرة الرسمية ايار 1948 .. ومقال سعاده: «الرجعيون لم يعطوا سلاحاً للقوميين الاجتماعيين» في كتاب «مراحل المسألة الفلسطينية» ص 183.

(6) جورج عطية: من بلدة أميون. له مؤلفات عديدة أبرزها «من حضارتنا». كان مسؤولاً عن قسم «الشرق الأوسط» في مكتبة الكونغرس الأميركي. للاطلاع عن النبذة المعممة عنه غداة وفاته، الدخول إلى أرشيف تاريخ الحزب على الموقع المذكور آنفاً.

(7) أ. كنا كتبنا عن الأمناء اميل رعد، ادغار عبود، خليل ابو عجرم، ابراهيم يموت، أديب قدّورة، والرفيقين فكتور اسعد وفؤاد النجار، وذكرنا الأمينين كامل ابو كامل وفارس معلولي في كثير من النبذات. لمراجعة ارشيف تاريخ الحزب على الموقع المشار اليه انفاً.

ب. سنعمم نبذة عن الأمين رشيد الأشقر بعد أن كنا كتبنا عنه عند رحيله. مراجعة الموقع آنفاً. كذلك عن الرفيق محيي الدين كريدية.

ج. فكتور كلارجي: من اوائل رفقائنا في كفرشيما، غادر إلى المهجر.

(8) بطرس معلوف: والد الأمين السابق فخري والأمين فوزي والرفقاء رشدي، حلمي، فايزة انتيبا، وكمال أبو شعر.

متفرقات

ل.ن.

«بستان سعاده» بدلاً من «بستان الباشا»

روى الرفيق جميل مخلوف في الصفحة 98 من كتابه «محطات قومية» أن الأمينة الأولى بعد زيارتها إلى اللاذقية، يرافقها عميد الداخلية في حينه الأمين الياس جرجي قنيزح، «انتقلت في اليوم الثاني لتفقد رفقاء منفذية جبلة، الأمر الذي تمّ في قرية «بستان الباشا» في بيت عميد العائلة ابراهيم مخلوف، وهو المكان الذي نزل فيه الزعيم عند زيارته لتلك القرية. يضيف أن رفقاء «جبلة» قد انتظموا في منفذية كان المسؤول فيها الرفيق فاضل كنج.

يضيف الرفيق مخلوف أن كلمة المنفذية التي ألقاها الرفيق فاضل كنج تحتوي على فقرة لا يزال يذكر مضمونها وهي التالية:

«إن هذه المديرية المنشأة في هذه القرية والتي تدعى مديرية سعاده وفيها رفقاء هم مصدر عزنا وفخارنا، متواجدون في هذه القرية المسماة «بستان الباشا». والباشا يمثل العهد التركي البائد البغيض، لذا يمكن تبديل اسم القرية من «بستان الباشا» إلى اسم جديد يدلّ على النهضة، فنقول، بدلاً من التسمية القديمة: «بستان سعاده». أعجب ذلك الاقتراح الرفقاء المجتمعين فكان أحدهم يسأل رفيقه الذي يعرف وجهته: إلى أين أنتِ ذاهب، فإذا أخطأ وقال لقرية بستان الباشا يغرّمه «فرنكا» (وهذه عملة كانت متداولة آنذاك وهي جزء من عشرين من الليرة السورية). وإذا أصاب وقال إني ذاهب لـ«بستان سعاده» يعفيه من دفع الغرامة المذكورة.

«أصبح أمر ذلك السؤال شائعاً وانتظار الجواب عليه، وأن ذلك الفرنك يدخل في جيب الرابح السائل، حتى أصبح الأمر يقترب من المقامرة فأعطت التسمية الجديدة للقرية سارية المفعول، لم يبطلها إلا الاضطهاد الشديد الذي تعرّض له الرفقاء بعد مقتل عدنان المالكي.

من تاريخ العمل القومي الاجتماعي عبر الحدود

بتاريخ 31 آذار 1950 نشرت مجلة «الدنيا» (في دمشق، لصاحبها عبدالغني العطري) الخبر التالي، نقلته بالنص الحرفي:

«بعث الطلاب السوريون في جامعة شيكاغو إلى دولة الرئيس السيد خالد العظم البرقية التالية:

«دولة رئيس مجلس وزراء الحكومة السورية الأفخم. لنا الشرف أن نتقدم من حكومتكم الموقّرة بعظيم شكرنا وتقديرنا للموقف النبيل الذي وقفته من قضية الحزب القومي الاجتماعي وإعطائك إياه رخصة رسمية بالعمل.

إنكم، يا دولة الرئيس، بعملكم هذا تدللون دلالة واضحة على تمسككم بالمبادئ الأساسية للحياة الديمقراطية الحرة.

إن الطلاب السوريين واللبنانيين في جامعة شيكاغو، إذ يقدرون لكم تشجيعكم للعمل الحزبي المنظم، وموقفكم المشرف تجاه قضايا الفكر والحرية والعدالة، يؤسفهم ما وصلت إليه هذه القضايا في بلد يدعي أنه مصدر الحرية والإشعاع الفكري.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

لجنة الطلاب السوريين واللبنانيين

في جامعة شيكاغو

أمين السر: هشام شرابي

المعروف أن الأمين هشام شرابي كان نشط حزبياً وتولى مسؤوليات مركزية في أربعينات وخمسينات القرن الماضي، ونشر في كتابه «الجمر والرماد» الكثير من ذكرياته مع سعاده.

خير مذيع في الحزب هو العضو الممدوح في المجتمع «سعاده»

يورد الأمين شوقي خير الله في الصفحة 31 من مؤلفه «قصة الحزب» أن سعاده وعظ يوماً في بيت البلطجي[1] في مديرية رأس بيروت فقال: «إن خير مذيع في الحزب هو العضو الممدوح في المجتمع، والمحمود الصفات والأعمال. فتصرّفه المهذّب خير من ألف إذاعة».

(1) عُرف عن الرفيق هاني بلطجي نشاطه الحزبي المميز في خمسينات القرن الماضي، واستمر إلى أن وافته المنية. عُرف عنه أيضاً أنه كان يملك أرشيفاً ضخماً. عمل في سنواته الأخيرة في جريدة «الديار».

فنانون قوميون اجتماعيون غير معروفين

عن الجزء الثالث من مجلدات «من الجعبة» للأمين جبران جريج، الذي يغطي المرحلة 16/11/1936، 15/11/1937.

«برز في هذه الأثناء في صفوف النهضة السورية القومية الاجتماعية ثلاثة أعضاء في الحقول الفنية وهم: محمد صعيدي، رامز أبو ظهر ومحمد البكار.

الصعيدي نجح نجاحاً منقطع النظير مع «البزق» كما أن محمد البكار نجح أيضاً نجاحاً منقطع النظير في الغناء وبصورة خاصة في الغناء العالي «السوبرانو» مما جعل الزعيم يوجههم إلى المزيد من هذه الطاقة الموسيقية والغنائية وإلى ورود مناهل عالمية ترفعهم إلى المستوى اللائق بمواهبهم الفنية الطبيعية.

«ويروى عن لسان الزعيم بهذه المناسبة التي كان يشجع فيها هؤلاء الرفقاء، أنه صرح جواباً على سؤال «لو قدم لكم أحد من الناس مليون ليرة يضعها تحت تصرّف الحزب فما هو المشروع الذي تفضلونه لاستثمار هذا الرأسمال الضخم؟ أجاب: «لو وُضع تحت تصرفي مليون ليرة لشيّدت أفخم بناء للأوبرا «opera» ليس في بلادنا فقط بل في الشرق العربي قاطبة».

ومما يجدر ذكره أن محمد البكار صار مغنياً للأوبرا في نيويورك بعد أن مرّ بمصر وعمل فيها وفي بعض أفلامها. كما أن الصعيدي وأبو ظهر قاما بحفلات ناجحة، في الأول من آذار، وأهمها في منزل الرفيق صلاح بكداش، بحضور الرفيقين محمد يوسف حمود وعبدالسلام فاخوري (والد الرفيق جمال فاخوري)[1] اللذين ألقيا أبياتاً من الشعر، وأخرى في منزل الأمين الياس سمعان[2]، شارك فيها صابر الصفح وابراهيم عليوان كما يروي الرفيق (الأمين لاحقاً) محمد جبلاوي».

(1) أعرف أنّ اسمه سلام فاخوري وهو كان أستاذاً معروفاً، شاعراً وضليعاً في الأدب العربي. ما زلت أذكر زياراته إلى منزلنا، وكنت طفلاً لتفقد ابنة عمي، ماري ناصيف، تلميذته في الكلية العلمانية «الليسيه الفرنسية».

(2) للاطلاع على النبذة المعممة عنه، الدخول إلى قسم تاريخ الحزب على الموقع التالي: www.ssnp.info

مزيد عن الرفيق البطل جبران الأطرش[1]

في كتابه «سفينة حياتي» وبعد أن يعرض الأمين منير خوري لمجريات توقيفه في 25 شباط 1962 يقول في الصفحتين 120–121: «بعد هذا الاستقبال الرسمي أودعوني أحد «القواويش» مع حوالى أربعين موقوفاً، تعرفتُ على عدد غير قليل منهم. أما ما لفتني فور دخولي ذلك القاووش فهو شاب محطّم الجسد، يسيل الدم والقيح من فمه ورأسه وعينيه وأذنيه، مشهد لن أنساه طيلة حياتي.

كان بعض الرفقاء يقوم بمساعدته بين الحين والآخر في محاولة للتخفيف من آلامه التي كان يكتمها بصبر وجلَد نادرين من دون أن يتفوه بكلمة آه أو أي نوع من أنواع التذمّر. ولما سألتُ بعض الشباب، من هذا الذي أراه؟ ابتسم أحدهم، وقد عرفني، ثم قال همساً: «بعد ما شفت شي يا حضرة الأمين. هذا المشلول الذي تراه أمام عينيك الآن هو واحد من العشرات الذين ينالون حصتهم من هذه الوحشية يومياً». كان ذلك الشاب، شبه المشلول، هو جبران الأطرش الذي اشتهر بطاقته وقوّته على تحمل العذاب بصبر وجلَد لا مثيل لهما[2].

(1) مراجعة النبذة عنه في قسم أرشيف تاريخ الحزب على الموقع التالي: www.ssnp.info

(2) رغم ذلك، لم تمنع تلك الوحشية التي كانت أخبارها تنتشر خارج السجن، ويتعرّف عليها الرأي العام، من أن ينشط الرفقاء، ينتظمون حزبياً، ومواطنون يُقدمون إلى الحزب ويقسمون.

مصلحة سورية فوق كل مصلحة

جاء في شرح المبدأ الثامن من المبادئ الأساسية أنه «ليس هنالك أثمن من هذا المبدأ في العمل القومي. فهو أولاً، دليل النزاهة للعاملين. ومن جهة أخرى يوجه العناية إلى الغاية الحقيقية من العمل القومي، التي هي مصلحة الأمة السورية وخيرها. إنه مقياس الحركات والأعمال القومية كلها. وبهذا المبدأ الواقعي يمتاز الحزب السوري القومي الاجتماعي على كل الفئات السياسية في سورية، فوق ما يمتاز بمبادئه الأخرى، في أنه يقصد المصلحة المحسوسة، المعينة التي تتشارك فيها حاجات ملايين السوريين، وحالات حياتهم. إنه ينقذنا من الحوم حول معانٍ للجهاد القومي، هي من باب اللامحسوس، أو غير المفيد.

إن هذا المبدأ يقيّد جميع المبادئ بمصلحة الشعب، فلا يعود الشعب يُقاد بالدعوات لمبادئ تخدم مصالح غير مصلحته هو.

إن حياة الأمم هي حياة حقيقية، وإذا كان الحزب السوري القومي الاجتماعي قد تمكن من إحداث هذه النهضة القومية الباهرة في وطننا، فالفضل في ذلك يعود إلى أنه يمثل مصلحة الأمة السورية الحقيقية وإرادتها في الحياة.

وإن سورية تمثل لنا شخصيتنا الاجتماعية، ومواهبنا وحياتنا المثلى ونظرتنا إلى الحياة والكون والفن، وشرفنا وعزنا، ومصيرنا، لذلك هي لنا فوق كل اعتبار فردي، وكل مصلحة جزئية.

حبذا لو نضع كلنا مصلحة سورية فوق كل مصلحة.